ماهية الدلالة الصوتية

أ.محمد الأمين خويلد
جامعة ورقلة
الجزائر

1- الصوت لغة و اصطلاحا : الصوت لغة "مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت و صوت تصويتا فهو مصوت،وهو عام و لا يختص،يقال صوت الإنسان وصوت الحمار،وفي الكتاب الكريم:(إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (1)"(2).

أما من الناحية الاصطلاحية ، فيعرفه الشريف الجرجاني بأنه " كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصماخ "(3) ، و لذلك " فهو مدرك بحاسة السمع "(4) عن طريق تلك الذبذبات الناتجة عن التموج المتسبب عن القرع أو القلع(5) ، و عليه يمكن تعريف الصوت بالمعنى العام – الذي يشمل اللغوي و غير اللغوي – بأنه " الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة ، حتى و لو لم يكن مصدره جهازاً صوتياً حياً ، فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفخية أو الوترية أصوات ، و كذلك الحس الإنساني صوت "(6) .

و موضوع علم الأصوات : هو الصوت اللغوي الصادر عن جهاز النطق الإنساني(7) ، و الصوت اللغوي ذو جانبين ، أحدهما عضوي و الآخر صوتي ، ويتصل الأول بعملية النطق ، و الثاني بصفته ، و"عملية النطق هذه تحدث في أية نقطة مما بين الشفتين، و الأوتار الصوتية في الجهاز النطقي الإنساني"(8)، ويكون خروج الصوت مستطيلاً مع الهواء حتى يعرض له في الحلق و الفم والشفتين ما يثنيه عن ذلك الامتداد ، و يختلف الصوت باختلاف المقاطع التي تعترضه (9) ، ويسمى الموضع الذي يحبس فيه الهواء أو يضيق فيه مجراه مخرجا

وهو مكان النطق (10) ، فإذا تناولت الدراسة اللغوية الأصوات من حيث كونهـا أحداثاً منطوقة لها تأثير سمعي ، و ركزت على المادة الصوتية بوصفها ضوضاء كـان هذا مجال الصوتيات و إذا كان التركيز على وظائف الصوت في اللغة كان مجـال علم وظائف الأصوات(11) .

و الحرف غير الصوت ، إذ أن الأول يمثل عائلة صوتية واحدة ، أما الثـاني تنوع من تنوعاته و مظهر من مظاهره التي تتجلى عند الاستعمال و " من المعـروف أن حروف الهجاء الصحيحة في العربية الفصحى ثمانية وعشرون ، و أن حـروف العلة ثلاثة ... فمجموع الحروف في العربية الفصحى واحد و ثلاثون حرفا بنـاء على هذا الفهم , أما أصوات العربية الفصحى فأكثر من ذلك" (12).

أما إذا تأملنا عملية الكلام فإننا نجدها تنتظم في خمس خطوات أو أحـداث متتالية مترابطة يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلـم و السـامع في أبسط موقف من المواقـف اللغوية , و هذه المراحـل أو الأحـداث بترتيـب وقوعها ، هي(13):

1)-**الأحداث النفسية** والعمليات العقلية التي تجري فيذهن المتكلم قبل الكلام وأثناءه .

2)- **عملية إصدار الكلام** ، و التي تتمثل في أصوات ينتخبها ذلك الجهاز المسـمى **جهاز النطق** .

3)- **الموجات و الذبذبات** الصوتية الواقعة بين فم المتكلم و أذن السامع ، بوصفـها **ناتجة عن حركات أعضاء** الجهاز النطقي .

4)- **العمليات العضوية** التي يخضع لها الجهاز السمعي(لدى السامع) بوصفـها ردة فعل مباشرة لتلك الموجات .

5)- العمليات النفسية و الأحداث التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام .

و انطلاقاً من هذا يمكننا القول : إن اللغة من حيث كونها مجموعة من العلامات أو الرموز " هي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني و التي تدركها الأذن . هذه الأصوات التي تؤلف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالات إصلاحية "(14) .

إن المتكلم – بأية اللغة كانت – لا يستعمل الأصوات مفردة مفككة ، بل إنه يؤلف بينها في وحدات أكبر هي الكلمات التي توظف – بعد ذلك – في العبارات و الجمل(15) ، فلا يطلق مصطلح الكلمة – في أية لغة – إلا على ما أمكن ائتلافه من الحروف . و وضعه الواضع بإزاء معنى مخصوص ، و هو ما أطلق عليه العلماء الأوائل مصطلح (المستعمل) . و ما لم يدل على معنى من الحروف المؤلفة يسمى لفظا و عليه فإن الكلمة أخص من اللفظ ، لأن اللفظ يكون دالا و غير دال (16).

إن الحديث عن الألفاظ الدالة في اللغة يقودنا إلى التفرقة بين عنصرين في الدليل اللغوي : أحدهما الدال ،و هو اللفظ المسموع الذي يمثل الصورة الصوتية ، و الثاني المدلول الذي المفهوم أو المعنى أو الصورة الذهنية ، و كثير ما تساءل اللغويون –منذ القديم – عن طبيعة العلاقة بين الدال و المدلول ، أهي ذاتية موجبة أم اصطلاحية ؟ و إن كان الامْر قد حسم و إنتهى إلى القول بعدم خضوع الأصوات الإنسانية إلى أي نظام عقلي منطقي في تكوها و صدورها و النطق بها (17)، و لاشك أن الذين ينكرون الصلة الموجبة بين الألفاظ و المدلولات هم الأقرب إلى فهم الطبيعة اللغوية (18)، بل إن " أساس الاختلاف بين لغة و أخرى إنما يعود إلى العلاقة الاعتباطية بين الدال و المدلول "(19).

و إذا تحدثنا عن نوع من الدلالة على المستوى الصوتي فلا ينبغي أن يتوهم من ذلك أنه تأكيد لفكرة الصلة الذاتية الموجبة بين الألفاظ والمدلولات ، لأن

الحديث عن الدلالة التي تساهم فيها الأصوات -التي تتألف منها الألفاظ -لا يعني مخالفة ما استقر عليه علماء اللغة من أن دلالة الألفاظ على معانيها عرفية إصطلاحية ، و إن كانت بعض الكلمات – على قلتها – تتجلى فيها ، بعض الروابط الطبيعية بين الألفاظ و المدلولات عن طريق الأصوات ، مما قد يثير شيئاً من اللبس في هذه المسالة ، و لكي نزيل هذا اللبس ، و نخلص إلى تحديد دقيق لمفهوم الدلالة الصوتية ، كما أقره فقهاء اللغة ، لا بأس أن نبين طبيعة العلاقات المختلفة التي تربط بين أصوات الكلمات العربية و معانيها.

2/- أنواع الصلة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها :

إذا تأملنا مفردات اللغة فإننا نجد صورا عديدة و مظاهر مختلفة ترتبط فيها أصوات الكلمة بالمعاني التي يعبر عنها بها ، و قد لخصها فقهاء اللغة في طائفتين من الروابط ، الأولى تقوم على أساس المحاكاة ، و الثانية على أساس الاشتقاق (20).

أما علاقة المحاكاة فتمثلها الألفاظ التي تعكس أصواتها اللغوية الأصوات المسموعة من الطبيعة " فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان ، و الحيوان و الأشياء و بعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره ، تحاكي أصواتها أصوات الظواهر التي تعبر عنها "(21) .

فمن الكلمات الدالة على أصوات الإنسان القهقهة والتمنطق و التأوه ، و من الكلمات الدالة على أصوات الحيوان المواء و العواء و الصهيل و الزئير ، و من الكلمات الدالة على أصوات الأشياء خرير الماء و حفيف الشجر ، و من الكلمات الدالة على أفعال الإنسان أو غيره القطع و القطف و القطم و القضم ...(22) ، و شئ بديهي " أن في كل اللغات ألفاظ مستوحاة من الطبيعة أو محاكية إياها فيما تحدثه من أصوات ، و هذه المحاكاة هي أقوى مظهر للمناسبة بين الألفاظ و مدلولاتها "(23) .

و يرجع السبب في هذه العلاقة إلى النشأة الأولى للغة الإنسانية التي نشأت في – أرجح الأقوال – من " محاكاة الإنسان للأصوات التي تصدر من الحيوانات و الأشياء ، و للأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها ، فلا غرابة إذاً أن يبقي في كل لغة بعض كلمات تمثل الأصل الأول الذي انحدرت منه اللغات "(24) .

أما ارتباط أصوات الألفاظ بالمعاني عن طريق الإشفاق فهو ناشئ عن الاتفاق و التواضع لا على أساس حكاية المسموع من أصوات الطبيعة ، و هو أقسام ثلاثة : صغير و كبير و أكبر .

فإذا لاحظنا اشتقاقات المادة الصوتية الأساسية لأية كلمة , فإننا نجدها جميعا توحي بالمعنى الأساسي للأصل الذي أخذت منه " ألا ترى أنك تجيء إلى (الضرب) الذي هو المصدر فتشتق منه الماضي فتقول :ضرب , ثم تشتق منه المضارع , فتقول :يضرب , ثم تقول في اسم الفاعل : ضارب " (25) فجميعها يوحي بمعنى الأصل و هو (الضرب) , و ذلك لاحتواء كل منها على المادة الصوتية الأصلية بالترتيب نفسه , و هي (ض .ر . ب) , و هذا النوع من الاشتقاق يعرف بالاشتقاق الصغير أو الأصغر أو العام , و هو " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى و مادة أصلية , و هيأة تركيب لها , ليدل بالثانية على معنى الأصل , بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفاً أو هيأة ...و طريق معرفة تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ " (26) .

فقد" تقوم بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معينة قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة الصيغة في أصول ثلاثة معينة , فتكون فاء الكلمة وعينها و لامها فيهن واحدة , و هذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم الاشتقاق . و في المعجم تحت اسم الاشتراك في المادة "(27) , و ينبغي أن يعلم أن بين التصريف و الاشتقاق نسبا قريبا و اتصالا شديدا , و أنه لا

أما الاشتقاق الأكبر فإنه يعنى بملاحظة التغيير الصوتي في بعض الكلمات – و ذلك نتيجة وضع صوت مكان آخر قريب منه في المخرج – و علاقة ذلك بالمعنى العام ، حيث " ترتبط بعض المجموعات الثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بنفس الأصوات بل بنوعها العام و ترتيبها فحسب ، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبطة به متى وردت مرتبة حسب ترتيبها في الأصل ، سواء أبقيت الأصوات ذاتها أم استبدل بها أو ببعضها أصوات أخرى متفقة معها في النوع ، و نعني بالاتفاق في النوع أن يتقارب الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق "(38).

و مثال ما تقارب في المخرج تناوب الميم و النون في مثل امتقع لونه و انتقع , و اللام و النون في مثل أسود حالك و حانك ، و فلان خامل الذكر وخامنه ، و من أمثلة الاتفاق في الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد و السين في مثل ساطع و صاطع ، السراط والصراط (39)،فالسين تتفق مع الصاد في الهمس و الصفير و الرخاوة و لكنها لا تتحد معها في الإطباق(4).

و يرجع العديد من علماء اللغة " الكثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة ، فمادة كشط مثلاً كانت تنطقها قريش بالكاف في حين أن أسدا و تميما كانتا تنطقانها بالقاف "(4).

فإذا أردنا أن نوجز مظاهر العلاقة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها ، فإننا نلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين . الأول منها يقوم على أساس طبيعي يتمثل في ظاهرة محاكاة المسموع من أصوات الطبيعة ، و الثاني على أساس وضعي اصطلاحي يتمثل في ظاهرة الاشتقاق بأنواعها المتعددة ، ويمكن أن نلخص ذلك في المخطط الآتي :

- مخطط يحدد طبيعة العلاقة بين أصوات الكلمات ومعانيها -

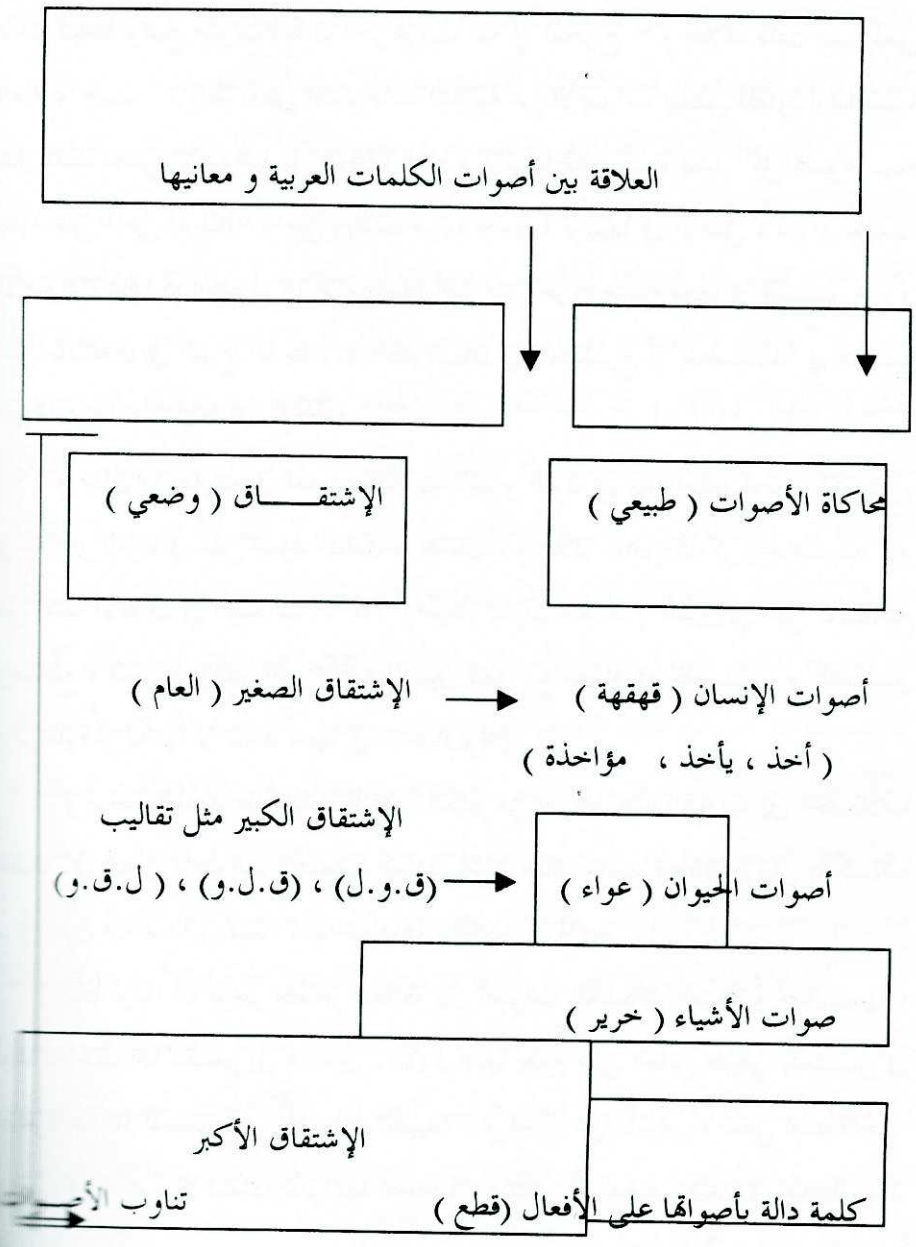
العلاقة بين أصوات الكلمات العربية و معانيها
محاكاة الأصوات (طبيعي)
الإشتقـــــاق (وضعي)
أصوات الإنسان (قهقهة)
الإشتقاق الصغير (العام)
(أخذ ، يأخذ ، مؤاخذة)
الإشتقاق الكبير مثل تقاليب
أصوات الحيوان (عواء)
(ق.و.ل) ، (ق.ل.و) ، (ل.ق.و)
صوات الأشياء (خرير)
الإشتقاق الأكبر
كلمة دالة بأصواتها على الأفعال (قطع)
تناوب الأصـــوات
المتقاربة

3-التحديد الدقيق لمصطلح الدلالة الصوتية :

إن فقهاء اللغة لا يطلقون مصطلح الدلالة الصوتية إلا على جانب محدد من الجوانب التي تعكس العلاقة بين أصوات الكلمة العربية و معانيها , حيث يتجلى أثر مساهمة الصوت في المعنى بما له من خصائص تميزه عن غيره في السمع , وهو ما يعرف بالقيمة التعبيرية للصوت , و لا تتجلى هذه القيمة إلا في مظهرين اثنين،هما : الاشتقاق الكبير و الاشتقاق الأكبر و كلاهما قائم على أساس وضعي .

و الحديث عن نوع من الدلالة على المستوى الصوتي , لا يعني مخالفة ما استقر عليه البحث العلمي من أن دلالة الألفاظ على معانيها عرفية اصطلاحية، بل إنه يشير إلى مقدار الدلالة التي يساهم بها الصوت , من خلال الخواص التي يتميز بها عن سواه , داخل البناء اللفظي – الوارد فيه – الذي وضع وضعا اصطلاحيا عرفيا مما يحدث شيئا من التلاحم بين اللفظ وما يدل عليه .

و يرجع الفضل في هذه الدلالة إلى إيثار صوت على آخر , أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به , إذا هناك نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات , و هو ما يطلق عليه اسم الدلالة الصوتية ، و يمكن التمثيل لها بكلمة (تنضخ) ، فهي تعبر عن تدفق السائل في قوة ، و عنف ، و هذه إذا قورنت بنظيرتها (تنضح) ، التي تدل على تسرب السائل في تؤدة ، و بطء ، تبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها ، فقد أكسبها تلك القوة و ذلك العنف مقارنة بحرف الحاء في الثانية (42) .

و لا يمكن أن نتصور – بأي حال من الأحوال – أن الصوت يساهم بتلك الدلالة و هو مجرد غير مركب في بناء لفظي ، فالوحدات الصوتية " لا معنى لها بحد ذاتها "(43) ، و إنما اكتسابها لتلك القيمة التعبيرية " ناتج عن تلك المقابلة بين الخاصة الصوتية للحروف التي تتألف منها الألفاظ و دلالاتها "(44) .

و عليه فإن الدلالة الصوتية متأتية بالأساس من وجود الصوت في محيطه اللفظي و إيثاره على أصوات أخرى يمكننا استعمالها في المحل نفسه ، إذا فهي " ترتبط بالقدرة على استخدام البعد الصوتي للغة استخداماً خاصاً في تناغم مع قوانين اللغة "(45) .

الهوامش

1- سورة لقمان الآية19.

2- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ،مصر ، (دط) ، 1969م ، ص:5 ، يراجع لسان العرب ابن منظور ، حرف التاء ، مادة (صوت) ، ص: 57-58 .

3- التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني،مكتبة ،لبنان ،بيروت،(دط)،1990م،ص:130.

4- سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 6 .

يراجع : أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، تحقيق محب الدين الخطيب مطبعة المؤيد ، القاهرة (دط) ، 1332هـ ، ص :4 .

مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ،الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د ط) 1986 م ، ص : 67 .

5- يراجع : علم اللغة مقدمة للقارىءالعربي، د . محمود السعران ، ص : 98 .

6- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 71-72 .

7- يراجع سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 16 .

8- يراجع : مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 110 .

9- يراجع : علم اللغة العام – الأصوات ،د.كمال محمد بشر ،دار المعارف ،مصر (د ط) 1973 ص: 29 .

10- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 116 .

11- علم اللغة العام (الأصوات) ، د .كمال محمد بشر ، ص : 9 .

12- علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ،د . محمود السعران ، ص : 63 .

13- يراجع : المرجع نفسه ، ص: 187 .

14- يراجع : شرح المفصل، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت، د ط،د ت،ج:1 ، ص : 18-19 .

و عليه فإن الدلالة الصوتية متأتية بالأساس من وجود الصوت في محيطه اللفظي و إيثاره على أصوات أخرى يمكننا استعمالها في المحل نفسه ، إذا فهي " ترتبط بالقدرة على استخدام البعد الصوتي للغة استخداماً خاصاً في تناغم مع قوانين اللغة "(45) .

الهوامش

1- سورة لقمان الآية19.

2- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ،مصر ، (دط) ، 1969م ، ص:5 ، يراجع لسان العرب ابن منظور ، حرف التاء ، مادة (صوت) ، ص: 57-58 .

3- التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني،مكتبة ،لبنان ،بيروت،(دط)،1990م،ص:130.

4- سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 6 .

يراجع : أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، تحقيق محب الدين الخطيب مطبعة المؤيد ، القاهرة (دط) ، 1332هـ ، ص :4 .

مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ، الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، (د ط) 1986 م ، ص : 67 .

5- يراجع : علم اللغة مقدمة للقارىءالعربي، د . محمود السعران ، ص : 98 .

6- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 71-72 .

7- يراجع سر الفصاحة ، ابن سنان ، ص : 16 .

8- يراجع : مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 110 .

9- يراجع : علم اللغة العام – الأصوات ،د.كمال محمد بشر ،دار المعارف ،مصر (د ط) 1973 ص: 29 .

10- مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، ص : 116 .

11- علم اللغة العام (الأصوات) ، د .كمال محمد بشر ، ص : 9 .

12- علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ،د . محمود السعران ، ص : 63 .

13- يراجع : المرجع نفسه ، ص: 187 .

14- يراجع : شرح المفصل، ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت، د ط،د ت،ج:1 ، ص : 18-19 .

15- يراجع: من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو مصرية، القـــاهرة، (ط 7)، 1994 ، ص: 140 .

16- يراجع : المرجع نفسه، ص : 144 .

17- أثر اللسانيات في النقد العربـــي الحديث ، توفـــيق الزيـــدي ، الدار العربية للكتاب ، تونـــس ، (د ط) ، 1984 ، ص : 59 .

18- يراجع : فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 175 – 186 .

19- المرجع نفسه ص : 175 .

20- يراجع : المرجع نفسه ، ص 175 – 176 .

21- محاضرات في فقه اللغة ، د . زبير دراقي ، ص : 32 .

22- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 177 – 178 .

23- المنصف ، ابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى , عبد الله أمين , البابي الحلـــبي(د ط)– (د ت) ، ج: 1 ، ص : 4 .

المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، عبد الرحمان جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى , علي محمـــد البجاوي , محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الجيل ، بيروت (د ط) – (د ت) ، ج : 1 ، ص : 346 .

24- اللغة العربية معناها و مبناها ،د.تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب (د ط) 1986 ، ص : 166 .

25- يراجع : المنصف ، ابن جني ، ج : 1 ، ص : 2 – 3 .

النظرية الخليلية الحديثة ، د . عبد الرحمان الحاج صالح ، مجلة اللغة و الآداب، جامعة الجزائر ، 1996 ، العـدد : 10 ، ص : 94 .

26- فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص : 70 .

27- دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بـــيروت ، (ط 11)، 86 ، ص : 177 .

28- يراجع : فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص : 73 .

29- يراجع : دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص : 175 .

30- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ،ابن الأثير،المطبعة البهية،مصر (د ط) 1894،ص : 292.

31- يراجع : فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 179 .

32- دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ص : 186 .

33- يراجع : المزهر ، السيوطي ، ج : 1 ، ص : 347 .

34- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص : 184 .

35- يراجع : المرجع نفسه ، ص : 184-185 .

36- يراجع : سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق : مصطفى السقا ، محمد الزفـــزاف ، إبراهيـــ مصطفى ، عبد الله أمين ، مطبعة البابي الحلبي ، (ط 1) ، 1954 ،ج :1 ، ص : 68-70 .

37- فقه اللغة ، عبد الواحد وافي ، ص : 185 .

38- يراجع : دلالة الألفاظ ، د.إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو مصرية (ط 6)، 1991،ص : 46 .

39- دراسة لغوية لمفهوم الآية (أطروحة دكتوراه) ، محمد العيد رتيمة ، إشراف: د.جعفر دك البا جامعة الجزائر .

40- معهد اللغة العربية و آدابها ، 1992-1993 ، ص : 198 .

41- فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك ، ص : 101 .

42- دراسة لغوية لمفهوم الآية ، د.محمد العيد رتيمة ، ص : 200 .